



دور المنهج التاريخي في رسم العلاقات السياسية الدولية  
(دراسة في مرحلة القطبية الثنائية - أنموذجا )

أ.م. اسراء احمد جواد

كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

أ.م.د. خلود محمد خميس

كلية القانون / جامعة واسط

أ.م.د. ستار شدهان

كلية القانون / جامعة واسط

المقدمة

لقد ارتبطت العديد من دراسات العلاقات الدولية ولاسيما السياسية بالمنهج التاريخي فلولا التاريخ لما تم رسم ومعرفة اي علاقة على الصعيد الانساني وبكل مفاصلها الانسانية والتي تكون بين البشر والمعنوية بين الدول وبالتالي هنالك ارتباط وثيق بين العلاقتين فالمعنوية لا يمكن ان تقوم وتستمر لولا البشرية .

فلا بد من القول ان دراسة العلاقات الدولية كانت مقصورة اساسا على العلاقات بين الدول بمعنى السياسات الخارجية للحكومات ومع ذلك كانت الدول هي الاشخاص الوحيدة في العلاقات الدولية ،الا ان المجتمع الدولي والحياة الدولية تحولا جذريا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لتحدها من الدور المقصور على الدولة فقط في العلاقات الدولية .

وإذا كان مجال العلاقات الدولية محدودا بصفة اولية بدراسة السياسات الخارجية والعلاقات بين اشخاص الحياة الدولية فأننا نجدتها تمتد من الجانب الاخر الى العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على العلاقات الدولية والى مجموعة الاحداث المتنوعة والمتشابكة وفي الحقيقة فان تشابك العلاقات الدولية المعاصرة على ضوء عدد كافي من العلوم السابق تجميعها لهذا توصف بالتاريخ الدبلوماسي ،القانون الدولي ،الجغرافية الاقتصادية ،الايديولوجيا .



**الفرضية :** تحاول هذه الدراسة اثبات فرضية مؤداها (هنالك علاقة جدلية وارتباطية وثيقة بين التاريخ ومسألة رسم مسار العلاقات الدولية على مسرح السياسة الدولية)

### الإشكالية

ومن خلال دراستنا سوف نقوم بتسليط الضوء على هذا الدور الذي يقوم به المنهج التاريخي في دراسة الاحداث وتطوراتها والتي لا يمكن لأي باحث في العلاقات السياسية او الاقتصادية ان يتجاوز المنهج التاريخي في بحثه ،لذلك تم اعتماد الاشكالية التالية في البحث والتي تبلورت بالتساؤل التالي :. ما هي جدلية العلاقة بين مفهوم او مصطلح التاريخ ومصطلح العلاقات الدولية وبمجالاتها المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ) لأعضاء المجتمع الدولي، وما هو دور التاريخ في رسم تلك العلاقات ؟

### الاهداف من الدراسة

وهنا التساؤل الذي يطرح نفسه ما هي الاهداف من استخدام المنهج التاريخي لدراسة العلاقات الدولية وهنا يمكننا ان ندرج بعضا منها متجسدة بالاتي :

ان دراسة العلاقات الدولية من خلال المنهج التاريخي تهدف الى المعرفة الموضوعية للأحداث الدولية المعاصرة التي تكون العلاقات الدولية وذلك عن طريق تحليلها وايضاحها والبحث عن اسباب وجودها وتطور اهميتها .

ان الدراسة تلك سوف تسمح بافتراض الاحتمالات الخاصة بتطور هذا الحدث والنتائج التي يمكن ان تترتب عليه وتكون هذه الاحتمالات مفيدة وضرورية للجهاز الدبلوماسي التابع لأي حكومة وللمنظمات الدولية وللمختصين في التحليل في الجماعات المهنية والمشروعات الكبرى التي يتعين على المديرين فيها اتخاذ القرارات الاكثر ملائمة لكي تحقق او تحافظ على مصالح هذه الجماعات او المشروعات .



### المبحث الاول : اطار نظري . مفاهيمي (جدلية العلاقة بين التاريخ ومسار العلاقات الدولية )

ان الاطار النظري المفاهيمي لأي موضوع كان هو عبارة عن اعطاء نبذة تعريفية عن الموضوع المراد دراسته، ونحن هنا في اطار دراسة دور المنهج التاريخي في رسم العلاقات الدولية لابد لنا من دراسة الموضوع ضمن هذا المبحث ضمن مطلبين :الاول الاطار المفاهيمي للمصطلحات الرئيسية وهي (التاريخ ومصطلح العلاقات الدولية )والمطلب الثاني يعالج ( جدلية العلاقة التي تربط بين التاريخ ورسم العلاقات الدولية) ،ولأجل التوصل الى معرفة دقيقة فيما يخص المبحث الثاني والذي يناقش الكيفية التي سارت بها العلاقات السياسية الدولية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي تحت ما سمي بحقبة الحرب الباردة حيث كانت هاتين الدولتين هما القطبين الرئيسيين المتحكمن بالعالم

### المطلب الاول :التاريخ والعلاقات الدولية (المعنى والمصطلح )

**المحور الاول :التاريخ** ،التساؤل الذي يطرح نفسه ماذا نعني بكلمة التاريخ ؟ هل هو مصطلح افتراضي ام وقتي ينتهي بانتهاء كل لحظة او ثانية من الزمن وما يتولد عن اللحظات التي نطلق عليها اللحظات التاريخية التي مضت وانتهت ؟ هل سجلت تلك اللحظات المواقف الايجابية والسلبية؟ ام انها مرت وحرف عليها حسب زعماء او قادة التاريخ او مدوني التاريخ ؟وتساؤلات كثيرة قد لا تنتهي في اطار هذه الدراسة ولكننا سوف نقف على بعض المصطلحات التي تقيدنا وتوضح لنا المفهوم الذي نحتاج اليه في دراستنا هذه .

فماذا نعني بمفهوم التاريخ : التاريخ هو تسجيل ووصف وتحليل الأحداث التي جرت في الماضي، على أسس علمية محايدة، للوصول إلى حقائق وقواعد تساعد على فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، فالتاريخ هو حكاية الماضي الانساني وتسجيل مباشر له ويشمل كل المصادر المتنوعة من الكتب والمصادر ،فالتاريخ يمكن بصورة او اخرى محاولة الضبط في البيانات بهدف دراسة السجل الزمني للأحداث بناء على دراسة نقدية للمصادر المختلفة مع محاولة ايجاد تفسيرات لأسبابها وفيها يتم جمع المعلومات التاريخية من المقالات المختلفة (١)



كما ان التاريخ هو القيام بدراسة تعتمد على حقائق الماضي وتتبع سوابق الأحداث، ودراسة ظروف السياقات التاريخية وتفسيرها فمنهج البحث التاريخي هو مجموعة الطرق و التقنيات التي يتبعها الباحث و المؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، و إعادة بناء الماضي بكل وقائعه و زواياه، وكما كان عليه زمانه و مكانه تبعاً لذلك، فالمنهج التاريخي يحتاج إلى ثقافة واعية و تتبع دقيق بحركة الزمن التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص التاريخي، لهذا وجب ارتباط المنهج بمستويات النقد في كل مراحل الممثلة في التفسير والتأويل والتتقيح والحكم نظراً لعنايته الجادة بالنص كروية واقعية ترتبط بالزمن والعصر .

وهذا يعني ان احد المزايا في البحث التاريخي هي فصل جميع النماذج التفسيرية البسيطة التي اشادها التاريخ العالمي ،خلال قرون فمن (هيرودوت ) الذي اراد ان يوضح ويعلل حروب الميديك بالصدمة الثقافية اليونانية والفارسية الى توسيديد الذي عارض القلق من صحة الوقائع في وصفه لحروب البيلوبونيز ،فكانت جميع التفسيرات الشاملة للتاريخ وجميع النماذج التفسيرية قد ابطلت عن طريق التطورات المعرفية اعمالا تاريخية.(٢)

فالحقائق والوثائق ليست في حد ذاتها تاريخاً، وإنما هي شهادة تشهد على جزء من اللحظة التاريخية وقد تكون هذه الشهادة مزيفة، ولذا ينبغي مقارنتها بشهادات أخرى بهدف الوصول للحقيقة لان الحقائق التاريخية لمرحلة معينة تخضع دائماً للتغيير والتعديل، وكذلك لحذف بعض عناصرها بسبب المصالح، أو بغية إخفاء ما لا يتلاءم مع الفاعلين في التاريخ ، لهذا وجب على المؤرخ وهو يدون كتاباته التاريخية أن يتعامل مع النصوص والوثائق بحياد، وان يبحث في علاقة تلك النصوص بأصحابها لتوفير بعض الموضوعية ويتفاعل مع الوقائع التاريخية بموضوعية في كتاباته التاريخية والابتعاد عن الذاتية التي تجعل من النص التاريخي يخضع للتأويل ليتلاءم مع منهج المؤرخ في الكتابة.

والتاريخ أيضاً علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية. وحقيقته كما قال (ابن خلدون): « أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من



الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال» (٣)

وهنا لابد من التمييز بين مصطلحي النهج التاريخي و المنهج التاريخي وقد يتوافق معه .

فالنهج التاريخي يقصد به المسار المعتمد في دراسة جزء معين من "واقع الماضي" ، ويتم في ثلاثة مراحل:

التعريف: وهو مرتبط بعملية الفهم، حيث أن" تعريف المعطيات التاريخية لا يتم إلا إذا تم استيعابه في إطار مشروع للاستعمال حيث أن الفهم هو فعل يقوم فيه المتعلم بلقاء واكتشاف البنية والمعاني والأفكار المتضمنة في الدعامة أو الوثيقة ، و التوصل إلى المعاني، يتم عن طريق تجميع المعطيات والتحليل والمقابلة والمماثلة والمقارنة ، دون الحكم عليها أو تأكيدها، أو نفيها وبشكل أدق هو إعطاء معنى للمعطيات التاريخية المتناولة والإحاطة بها.

التفسير: هو الجواب عن سؤال لماذا؟و يتأسس على تأويل المعطيات التاريخية المدروسة وهو يتطلب معالجة المعطيات ، والقيام بمهارات عقلية متسلسلة لإيجاد دلائل تفسيرية فالتمييز بين حدث سابق وآخر لاحق ، وبين السبب والنتيجة ، وبين العام والخاص يتم عن طريق الوصف والمماثلة والمقارنة والبرهنة وتميز في الأشكال المعتمدة في التفسير بين: التفسير بالنسق، والتفسير بالقاعدة المطردة، الاتجاهات الترابطات، الحركات العميقة.

التركيب:حسب المنهاج هو عملية تستدعي إيجاد العلاقة ، والرباط بين الجزئي و الكلي والجزئي و الانتقال من الخاص إلى العام.

إن عملية التركيب تنتهي بالمؤرخ إلى بناء أحداث ووضعيات يقوم بتأليفها في إطار سرد منسجم وتركيب واضح بمعنى آخر إن مرحلة التركيب ، هي المرحلة التي يتم فيها الربط بين الجزئي والكلي وهذا لن يتم إلا بعد إيجاد الحركات العميقة والاتجاهات والعلاقات والترابطات بين الخاص والعام ، في إطار حركة دورانية مستمرة للتوصل إلى مقولات جديدة تجيب عن الإشكالية المطروحة.

لقد تقدم التاريخ في البحث عن حقيقة الاحداث تقدا كبيرا سواء فيما يتعلق بالتاريخ القديم ام بالتاريخ المعاصر وتفسح طرق التحليل للمادة التاريخية مثل الاطلاع على المحفوظات والوثائق ومجمل

الاعمال الخاصة حول فرضية ما او فترة محددة تقسح المجال امام المعارف المختارة للوصول الى الحقائق التاريخية فهل يكفي لهذا الاثر الانساني ان يتشكل من جديد كحقيقة متلاشية من اعماق الزمن ؟

### المحور الثاني: العلاقات الدولية (المعنى والمفهوم )

لقد ظلت العلاقات السياسية الدولية حتى نهاية القطبية الثنائية شديدة الارتباط بالمنطق التاريخي في تطوره ،بيد ان تيارا امريكيا قد راح يتصدى لمنهج المعرفة النمطي التقليدي باعتباره عاجزا عن ادراك صلب عالم السياسة الدولية حتى انتهى الامر لبروز مدرسة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وهم اصحاب التيار الجارف بالالتزام النهائي بمفاهيم الامركة ومنهجيتها في الهيمنة على العالم برمته ورغم هذا التحدي من جانب هذا التيار فان المنهج النمطي سيظل يؤدي دورا مرموقا في النظرية العامة للعلاقات الدولية.(٤)

لقد توافق معظم المراقبين على تعريف العلاقات الدولية ك مجال للتعاون او المواجهة فيما وراء البحار فانه لا يوجد في مقابل ذلك توافق على الطبيعة العميقة لهذه العلاقات ولا على القوى التي تديرها ،فدراسة العلاقات الدولية قد تشرذمت وتكاثرت بسبب اختلاف الباحثين على ما يكون نوعيتها وجوهر موضوعها وعلى اطار تفسيري عام يسمح بتنظيم البحث فيها(٥)

وقد سعى علماء التاريخ لاستئناف العمل بأساليب التفسيرات الشاملة للتاريخ من خلال التوضيح الدوري لمصير الحضارات والثقافات لعصور (فيكو ) الثلاثة (العصر الالهي وعصر الابطال وعصر الانسان ) ثم عصور ( اوغوست الثلاثة ) (اللاهوتية والميتافيزيقية او ما وراء الطبيعة ثم عصر الوضعية ) . ثم مرحلتا سبنسر الاثنتان (عصر الاكراه، ثم عصر الحرية . ثم عصر التضامن المتعاقبان لدوركهليم الخارجي والداخلي . والنقل النوعي لوفاسور ،او راتزل وسلاسل كارل ماركس . المجتمع البدائي ،العبودية او الرق ،الاقطاعية ،الرأسمالية ،فالاشرائية . واقرب الينا ،نهاية التاريخ (د ف) ،فوكوياما ) ،وصدام الحضارات لـ (س ، هاننتغتون )وسيكون لعلماء التاريخ المختصين اسبابهم على الدوام بلا شك كي لا سخروا من الاجيال سواء اكانوا مؤرخين ام سياسيين من الذين يبذلون جهودهم لتأويلاتهم الشاملة من اجل الدفاع عن السببية . أي العلاقة القائمة بين العلة والمعلول .



المحافظة على المعنى نفسه في مختلف اشكاله والمنهجية ويجب ان يؤسف على خيبة الأمل من التوضيحات الحضارية الخالصة او الاقتصادية او ايدولوجيا (خالصا للتاريخ) (٦) ان مخططي السياسة مثلهم في ذلك مثل المؤرخين يعتمدون على الحاضر المتطور لكنهم خلافا للمؤرخين يجرون حوارا متوصلا مع المستقبل وتؤثر المتغيرات المستقلة ذات التأثير في الاحداث المتنامية الواحدة منها في الاخرى تأثيرا ملموسا اضافة الى تأثيرها في التصورات المستقبلية التي يعتمدها صانعو السياسة . تلك التصورات التي ينبغي لها ان تتطور دوما اذا ما اريد لها ان تكون ذات فائدة وهي بدورها اذا ما شرعت الدواوينيات باستخدامها قد يكون لها تأثير عميق تحديدا في هذه المتغيرات التي تسعى السياسات الحكومية جاهدة لاستباق تفاعلها المتمم بالحركة والعلاقات القائمة بين مخطط السياسة والمستقبل وبين التفسير والحقيقة الاخذة في الظهور والماضي هي بأيجاز وصف للعلاقة بين المؤرخ والماضي ما عدا ان النتيجة لا حدود ثابتة لها ،زد على ذلك ان مسؤوليات مخططي السياسة تختلف في طبيعتها اختلافا كبيرا عن مسؤوليات المؤرخين ،ففي السياسة الخارجية غالبا ما تؤثر المسؤوليات في قضايا لها علاقة بالحياة والممات ،ونتيجة لذلك فان مخططي السياسة يعملون بكل قوة لمجرد استباق التطورات والاستجابة للمتلاحق منها وحتى في تلك الحالة فان من المحال الامام بأغلب التفاصيل واحساس المرء بالأحاطة احساس محدود الى ابعد الحدود وضمن هذا السياق ينظر مخططو السياسة (المسؤولون امام موظفين منتخبيين وهؤلاء بدورهم مسؤولون امام ناخبيهم) الى مفاهيم المستقبل الخيالية نظرة يشوبها الحذر ويركزون على التطورات التي تستطيع السياسة استغلالها .

لذا يمكن القول وما استقرت عليه التقاليد العلمية باستحالة تفسير الواقع بدون العودة الى التاريخ لفهم العوامل التي حكمت حركة التطور في مراحلها التي اكتملت بالفعل ،لكن مدى حضور التاريخ كنموذج يمكن تكراره في المستقبل هو موضوع جدل كبير في العلوم المختلفة ،طبيعية كانت ام اجتماعية لكنه بالرغم من ذلك يبدو حاضرا بكثافة في خطاب القوى الفاعلة في كلتا العمليتين التطويريتين ،وكذلك في الاجتهادات التي تعنى باستشراف السيناريوهات المستقبلية المحتملة .(٧)



. ومن خلال تلك الدراسة سيتم اصدار احكام تقويمية على القرارات وعلى السياسات الخارجية للحكومات ،وبالطبع فان تلك الاحكام ستعتمد على عدد من المعايير ومنها .

. الفاعلية الفنية في نتائجها

. القرار الحسن او السياسة الحسنة

. فاعلية السلم والامن الدوليين نتيجة التعاون الدولي وتقدم المدنية .

وبالتالي فان الدراسة باستخدام المنهج التاريخي لأجل تحليل الحدث الدولي المعاصر تكون بحاجة للمرور بعدة مراحل اهمها:

. وصف الحدث وتطوره . وضع الحدث في سياقه . البحث عن اسباب وتفسير الحدث .

والامثلة على ذلك كثيرة منها :

ماهي الاحتمالات التي كانت مترتبة على استهداف مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين سنة ١٩٤٥ بالقنابل الذرية .

التوتر الامريكي السوفيتي في ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ حين وضعت القواعد الامريكية في العالم بحالة تأهب بمناسبة النزاع العربي . الاسرائيلي وبسبب تهديد الاتحاد السوفيتي بالتدخل في نزاع الشرق الاوسط وما هي الاسباب والتفسيرات لهذا التهديد بالتدخل المباشر للاتحاد السوفيتي في النزاع ..... والامثلة كثيرة حول هذا الموضوع .

كما يتم الاعتماد على نظرية مستويات التحليل والتي تعد من اهم الطرق المعتمدة بين دارجي العلاقات الدولية للتعامل مع تعددية الفواعل والعمليات ونطاقات التأثير داخل العلاقات الدولية وبالتالي فهي تقوم بوضع اطار للتصنيف والتفسير استنادا الى معيار وحدات التحليل او معيار العمليات التي من شأنها الاجابة على سؤال لماذا ولان طبيعة الظواهر الاجتماعية ومنها الدولية تتسم بالتعقد فان الارتكاز الى عامل تفسير واحد هو امر مغل منهجيا وبالتالي تظل محاولات الجمع بين المستويات المختلفة للتحليل (المستويات الكلية كالنظام الدولي ،او نظمه الفرعية او المستويات الجزئية كالدولة او الفرد صانع القرار ) امر يرنو اليه باحثو العلاقات الدولية رغم اشكاليته بينما قد يضطر الواحد منهم الى التركيز على مستوى واحد منها.(٨)





المبحث الثاني: العلاقات السياسية الامريكية . الروسية خلال مرحلة القطبية الثنائية (الحرب الباردة )

في البدء لابد من القول بانه على الرغم من الاستقلالية التي اكتسبتها العلاقات الدولية تدريجيا منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فقد بقيت هذه الدراسة ومن خلال اتباعها لتيار المثالية وصفية ومعيارية على غرار مثيلاتها من الدراسات التي جرت في القرون السابقة في نطاق القانون الدولي او في مجال الفلسفة السياسية ويكمن الشاغل الاساسي للباحثين في تجنب الحرب وفي تأمين علاقات دولية سلمية وذلك بارتكازهم على تحليل واضح للحقيقة بذلك تهدف دراسة العلاقات الدولية الى تطبيق عملي فوري.(٩)

وعلى مدى اربعين عاما كان الدارسون في مجال العلاقات الدولية يفكرون ويتصرفون في اطار صورة للشؤون الدولية عالية التبسيط وان كانت جدا مفيدة هي نموذج الحرب الباردة وفيها كان العالم منقسما بين مجموعة من المجتمعات الغنية نسبيا والديمقراطية اساسا وتقودها الولايات المتحدة الامريكية، منغمسة في نزاع ايديولوجي شامل وسياسي واقتصادي وبعض الاحيان عسكري مع مجموعة اخرى من مجتمعات شيوعية افقر نوعا ما ويقودها الاتحاد السوفيتي ووقع معظم هذا النزاع في العالم الثالث الذي كان مكونا من بلدان فقيرة عادة وتقتصر الى الاستقرار السياسي حيث لم يستطع نموذج الحرب الباردة ان يفسر كل شيء يقع في مجال السياسة العالمية (١٠)

ولا يتفق علماء السياسة على تحديد تاريخ زمني دقيق لبداية هذه الحرب ونهايتها، فيرجعها البعض الى العام ١٩١٧ وهو تاريخ ميلاد الشيوعية والتي نتج عنها نظام مناقض للنظام الغربي، هذا النظام الذي ستنبلور توجهاته فيما بعد اساسا للصراع بين عقيدتين وقوتين متناقضتين ويرجعها البعض الى فترة الحرب العالمية الثانية ذاتها، فالتحالف المفروض بين الاتحاد السوفيتي والغرب لم يبلغ الاختلاف الايديولوجي كما ان الاختلاف حول ترتيبات ما بعد الحرب قد بدأ اثائها لكن الاختلافات ازدادت حدة حين اتضح اختلاف النوايا والمصالح بين القوتين وشعبت مناطق التصادم بينهما.

ان مفهوم الحرب الباردة ينصرف لوصف الفترة ما بين عام ١٩٤٥ . ١٩٧٠ على وجه التقريب ويعني المفهوم حرب الدعاية والتنافس السياسي والاقتصادي والتهديد باستعمال القوة والتي قامت بين الغرب



بزعامه الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الشيوعية بزعامه الاتحاد السوفيتي وهي حرب اتسمت بانعدام الثقة والشكوك بين الطرفين وسيطر فيها الصراع الايديولوجي والذي انعكس على مجمل دول العالم.(١١)

ان الحرب الباردة كانت المنافسة الاشد خطورة ومرارة وامتدادا في الزمن بين القوى العظمى في التاريخ الحديث ،ولقد اوضحت الفترة الاطول تماديا زمنيا للتححرر من حرب القوى الكبرى في التاريخ الحديث وسواء وافق المرء على الوسائل التي حدث بها هذا ام لم يوافق وسواء حتى قبل المرء بالطرق التي حصل بها ام لم يوافق فالحقيقة البسيطة هي ان الحرب الباردة تمخض عنها بالفعل سلام طويل الادم . اما ما اذا كان يمكن للسلام الطويل ان يتجاوز في بقائه نهاية الحرب الباردة فتلك مسألة اخرى ،لقد مثلت الحرب الباردة اشياء عدة لكثير من الناس كانت تقسيما للعالم الى معسكرين متعادين ،كانت استقطابا لأوروبا عموما ولألمانيا على وجه الخصوص الى دوائر نفوذ متعارضة ،كانت صراعا عقائديا ،البعض قال بين الرأسمالية والشيوعية والبعض الاخر قال انه بين الديمقراطية والسلطوية ،كانت تنافسا على كسب ولاء ما يسمى بالعالم الثالث ولممارسة النفوذ عليه.(١٢)فالحرب الباردة لم تكن تعني بالنسبة لكثير من الباحثين بانها تتعلق بالفكر العقائدي اطلاقا بل بالأحرى كانت تتعلق بتوازنات القوى ومناطق النفوذ .

ولقد كان نظام الحرب الباردة الدولي يعكس حزمتين من التوازنات كانتا للمرة الاولى في التاريخ مستقلتين احدهما عن الاخرى الى حد كبير ،التوازن النووي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية من ناحية والتوازن الداخلي داخل حلف الاطلسي الذي كانت فعاليته من نواح مهمة ،فعالية ساينكولوجية من ناحية ثانية ،التسليم بسيادة الولايات المتحدة مقابل حصول اوربا على حماية امريكا النووية ،حيث قامت البلدان الاوربية ببناء قواتها العسكرية الخاصة لا من اجل ايجاد قوة اضافية بل لامتلاك صوت في قرارات الحلف . بطاقة مشاركة في المناقشات الدائرة حول استخدام عامل الردع الامريكي ،فقامت فرنسا وبريطانيا بتطوير قوى نووية صغيرة لم تكن ذات شان بالنسبة الى توازن القوة الاجمالي غير انها وفرت مطابفة اضافية بمقعد على طاولة قرارات القوى العظمى.(١٣)



فلقد كانت تصورات الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي تختلف حول قضايا اساسية وكانت تتطلب مساعيا للتوصل الى حلول سلمية واعادة تنظيم تلك الاختلافات، وكان ادراك وجود تلك الاختلافات الصورية اسهل من تشكيل سياسة مبنية على ذلك الفهم وقد ساهم عدم التأكد المتبادل في استمرار المستوى العالي من التوتر بين الدولتين العظميين. (١٤)

لقد سعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى تجنب الازمات في علاقاتهما عبر الامتناع عن التدخل من طرف واحد بعضهما في مناطق نفوذ بعض . فمنطقة النفوذ السوفيتية في أوربا الشرقية ومناطق نفوذ الولايات المتحدة الامريكية في أوربا الغربية ومنطقة الكاريبي وتعود خطورة الصواريخ الكوبية لعام ١٩٦٢ الى ان الاتحاد السوفيتي كان من وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية لا يحترم منطقة نفوذ امريكية وطيدة ،اذن فقد سعيا الى تجنب المواجهة المباشرة بين قوتيهما المسلحة كالتى كان من المحتمل حدوثها في ازمة الصواريخ الكوبية وخلال ازمات برلين المتعددة ،وفي الحالات التي كانا فيها متعاونين تعاوننا وثيقا مع جهات متعاكسة في نزاع محلي فقد سعيا الى كبح حلفائهما او شركائهما ،ذلك كان نمط السياسة الامريكية والسوفيتية ازاء حلفاء كل منهما الاوربيين طيلة فترة مواجهة الناتو وحلف وارشو وكان ايضا نمط سياستهما في شرق اسيا في الخمسينات حين كان الاتحاد السوفيتي متحالفا مع الصين بشكل خاص منذ حرب ١٩٦٧ لكبح اسرائيل وسعى الاتحاد السوفيتي الى كبح شركائه العرب وقد اتخذوا بعض الاحيان خطوة اخرى في حث بعضهما على كبح شركاء كل منهما وقد فعلت ذلك القوتان العظيمان كلتاهما على سبيل المثال في ازمة مضيق تايوان لعام ١٩٥٨ وفي ازمة الشرق الاوسط لعام ١٩٦٧. (١٥)

ولقد حددت الولايات المتحدة الامريكية طريقتين رئيسيتين لمواجهة التهديدات المحتملة وهي الحفاظ على قوات تقليدية كبيرة جدا متمركزة حول العالم وقرب كل نقاط الاضطرابات المحتملة والثانية هي الحفاظ على احتياطي مركزي اصغر مشكل من قوات عالية الجاهزية تدعمها وسائل لنقلها بسرعة الى حيث تبرز الحاجة اليها ،ولتأكيد ذلك فقد كانت الولايات المتحدة في العام ١٩٧٦ تمتلك حوالي ٣٠٠ قاعدة ومنشأة عسكرية وراء البحاء تتوزع على ٣٢ دولة. (١٦)



فقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية الى زرع قواعد عسكرية في اراضي حلفائها على سواحل البحر المتوسط كي تتمكن من احكام السيطرة الكاملة على المنطقة وكانت تزعم ان وجودها هو لتوطيد الامن في الخليج العربي والبحر الاحمر والمتوسط، وكانت بداية استخدامها الواسع النطاق لهذه القواعد في المنطقة قد بدأ عند نهاية الحرب العالمية الثانية وأستمر العمل بها الى نهاية الثمانينات من القرن الماضي وكانت تعد القواعد الركيزة الاساسية للوجود العسكري الامريكى في المنطقة حيث تتوزع تلك القواعد جغرافيا على قسمين، القسم الشرقي في تركيا، اليونان، الكيان الصهيوني، وتضم المجموعة الثانية قواعد ايطاليا، البرتغال، جبل طارق والمغرب .

ان الاهتمام بالبحر المتوسط لم يقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية بل شمل الاتحاد السوفيتي والذي اهتم بنفس الدرجة فعدت منطقة شرق البحر المتوسط ذات اهمية استراتيجية حيوية نظرا لقربها من حدوده الجنوبية، حيث قامت موسكو بتوسيع حدود قدراتها العسكرية الى الحد الذي يلبي احتياجات اهتماماتها السياسية الطموحة الى ما خلف حدود حزامها الامني الحيوي وقد مكنت الثورة التقنية العسكرية القيادة السوفيتية من تنمية قدراتها العسكرية هذه بصورة مذهلة وسعت بالتالي من مدى التأهب الاستراتيجي السوفيتي وبذلك اصبح للاتحاد السوفيتي وجود سياسي وعسكري مباشر في البحر المتوسط متمثلا بأسطول حربي دائم. (١٧)

فقد كانت تتوفر لدى الولايات المتحدة الأمريكية جميع الاسباب المستمدة من التاريخ والجغرافيا السياسية التي تمكنها من تدعيم الاتحاد الاوربي والحيلولة دون انزلاقه الى نوع من الفراغ الجيوسياسي حيث كان من شأن امريكا اذا ما فصلت عن اوربا على الاصعدة السياسية والاقتصادية والدفاعية ان تصبح جيوسياسيا جزيرة في عرض البحار المشاطئة لأوراسيا كما ان من شان اوربا نفسها ان تتحول الى كيان تابع للنفوذين الاسيوي والشرق اوسطي (١٨)

فما هي المراحل التي مرت بها العلاقات الأمريكية . السوفيتية خلال مرحلة الحرب الباردة والتي يمكن تقسيمها الى عدة مراحل وهي (١٩٤٥ . ١٩٥٥) (١٩٥٥ . ١٩٦٨) (١٩٧٢ . ١٩٨٦) . مرحلة الوفاق **المرحلة الاولى (١٩٤٥ . ١٩٥٥)** والتي بدأت مع مؤتمر طهران ١٩٤٣ ومؤتمر يالطا ١٩٤٥ والتي انطوت المباحثات خلال ذلك المؤتمرين على شعور بالأمل بشأن الترتيب الدولية التي ستحكم



العلاقات بين الاربعة الكبار (الولايات المتحدة الامريكية ،الاتحاد السوفيتي ،بريطانيا ،المانيا ) فكان لروزفلت دور كبير في اقامة جسور التفاهم مع الاتحاد السوفيتي ،فاندفعت بعدها الولايات المتحدة نحو التفكير عن خطاها في العزلة بعد الحرب ،وتلك الانعزالية امتدت من تاريخ توقيع الولايات المتحدة الامريكية معاهدة فرساي في ٢٨ يوليو ١٩١٩ وحتى اعلانها الحرب على اليابان في ٨ ديسمبر ١٩٤١ عقب يوم واحد من هجوم الاخيرة المفاجيء على الاسطول الامريكي في بيرل هاربر.(١٩)

لكن حين متابعة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية في السنوات اللاحقة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية يتم كشف النقاب عن ان الولايات المتحدة الامريكية لم تتعزل بالفعل عن السياسة الدولية سواء فيما يتعلق بتأكيد هيمنتها القارية في الامريكيتين او حتى فيما يتعلق بالعمل على ضمان استقرار السياسات الاوربية وخفض فرص الصراع بين امبراطوريات القارة العجوز وخلال هذه الفترة حرصت الولايات المتحدة الامريكية على المشاركة بشكل منتظم في اجتماعات عصبة الامم ،كما قاد عدد من مشرعيها الذين عارضوا اقرار معاهدة فرساي ما عرف بمؤتمر واشنطن البحري في الفترة من نوفمبر ١٩٢١ وحتى فبراير ١٩٢٢ والذي انتهى بتوقيع (اتفاقية القوى الخمس البحرية) بين كل من الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة واليابان وايطاليا ،وهي الاتفاقية الاولى في التاريخ الحديث التي تتضمن اجراءات لضبط التسلح وخالصة القول ان كثيرا من الشواهد التاريخية يثبت ان ادعاء انعزالية السياسة الخارجية الامريكية خلال فترة ما بين الحرب العالميتين الاولى والثانية لم يكن اكثر من اسطورة ،وترجح شواهد كثيرة كذلك في محاولة استدعاء ادعاء الانعزالية هذه ليست الا محاولة لأحياء تلك الاسطورة ومغالطاتها المفاهيمية للتأثير في مواقف الناخبين ومشاعر الخشية المتعارضة للسيطرة عليهم سواء خشية البعض من مزيد من التورط الامريكي خارجيا مع ما يصاحب ذلك من تقاوم الاعباء وتزايد التهديدات او خشية البعض الاخر من ان الانعزال عن السياسة العالمية سيؤدي الى اضرار كبير بمصالح الولايات المتحدة حول العالم.

فانصرت الولايات المتحدة الامريكية نشوء الامم المتحدة وكان ذلك اعترافا منها بان مصالحها الاقتصادية والامنية اصبحت ذات افق عالمي ،وبسبب تطورات الموقف السوفيتي في أوروبا الشرقية



بعكس الموقف الامريكى اتجاه المانيا والذي انقسم الى قسمين ،قسم يؤيد بعثرة المانيا وحرمانها من اسباب بناء قوتها والقسم الاخر لا يؤيد ذلك اندفعت الولايات المتحدة لأجل تعويض الموقف السوفيتي من خلال الضغوطات الاقتصادية ،خاصة بعد ان تقدم الاتحاد السوفيتي بطلب لنيل قرض امريكى في عام ١٩٤٥ ،فوضعت الولايات المتحدة شروطها لمنحه القرض ،فكانت الغاية اخضاع الاقتصاد السوفيتي الى الاقتصاد العالمى عبر انتمائه الى البنك الدولي ونظام النقد العالمى ،الا ان الاتحاد السوفيتي رد على الفعل السوفيتي بأعلانه عام ١٩٤٦ بخطته الخمسية لبناء الاتحاد السوفيتي ذاتيا ، وهذا الرد جاء لاجل تثبيت اقدامه في مناطق نفوذه وخاصة شرق اوربا ،بينما بريطانيا فانها اختارت شرق المتوسط فناشدت الولايات المتحدة للتحالف معها لاجل الوقوف ضد التوسع السوفيتي الجغرافي وبعد ان اخفقت المساعي السوفيتية للتقرب من الولايات المتحدة الامريكية وكذلك عدم اتقاق الطرفين بشأن مستقبل اوربا ،سعت الولايات المتحدة الى احتكار السلاح النووي فعزمت على ان لا تتخلى عن السلاح الجديد الا بعد ترتيب الاوضاع الدولية وبالشكل الذي يتناسب مع المصالح الامريكية عالميا ،ففي اذار ١٩٤٦ اذاعت الولايات المتحدة الامريكية عن خطتها في وضع الطاقة الذرية تحت الرقابة الدولية (باسم خطة باروخ ) وفحوى الخطة تجسد في ان (تحفظ الولايات المتحدة الامريكية بسلاحها النووي في حين تجري رقابة دولية على نشاطات الدول الاخرى ،حتى يتم التثبت من عدم امتلاكها للسلاح الجديد ،لكن الاتحاد السوفيتي رفض الخطة الامريكية وفسرها على انها محاولة للأبقاء على احتكار الولايات المتحدة للأسلحة الجديدة في الوقت الذي يحرم منه الاتحاد السوفيتي .

فقد عولت الولايات المتحدة الامريكية في مواجهتها للاتحاد السوفيتي مطلع الحرب الباردة على سياسة الدولار والقنبلة الذرية مع مراقبة الاحداث في اوربا الشرقية وبلدان اوربا الغربية والمستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية وفي اسيا ، فكانت الولايات المتحدة تسعى لاحتواء السوفيت في مناطقه حتى جاء عام ١٩٤٧ فتقدمت بريطانيا برسالة الى الحكومة الامريكية تحذرها بعجزها المالى وعن الايفاء بالتزاماتها في الشرق الاوسط والبحر المتوسط ، فأندرت الرسالة الولايات المتحدة الامريكية بان البديل ليحل محلها سيكون الاتحاد السوفيتي في حالة تلكو الولايات المتحدة الامريكية ،فاستجابت الولايات المتحدة للرسالة البريطانية ،فسعت الى تقديم مساعداتها المالية والعسكرية لليونان ،فكانت



القوات البريطانية تعين الحكومة اليونانية ضد حرب العصابات وهو الامر الذي ادى الى احتجاج الاتحاد السوفيتي ضد التدخل البريطاني فكانت الامم المتحدة المحفل الدبلوماسي للمواجهة فسارعت الولايات المتحدة علانية للوقوف الى جانب تركيا واليونان ،ففي اذار ١٩٤٧ اعلن الرئيس الامريكى ترومان عن مشروع امريكى لمساندة البلدين تحت غطاء ايدولوجي (الدفاع عن الشعوب الحرة الابقاء على الديمقراطية ،مقاومة الاضطرابات الداخلية لاسقاط نظم الحكم ،التصدي للتدخل من الخارج ) فكان ذلك ردا امريكيا ومحاولة لمنع انتشار النفوذ السوفيتي باي طريقة كانت .

وهذا يعني ان المبدأ كان ايدانا من الولايات المتحدة الامريكية باتجاه اتخاذ الاجراءات العسكرية لمناصرة النظم السياسية غير الشيوعية كما ان هذا المبدأ أوكل الى الولايات المتحدة الامريكية مهمة الدفاع عن اوربا الغربية والمناطق ذات الصلة بالامن الامريكى ،من منطلق ان مشروع مارشال كان ينطوي على قلق دفين من مستقبل دمج الاقتصاد السوفيتي مع اقتصاديات دول شرق اوربا وبالتالي سيكون خطرا امنيا على أوربا والولايات المتحدة الامريكية في الوقت نفسه ،فجاء الرد السوفيتي باعلان مبدأ (مولوتوف ) والذي اعاق بولندا وجيكوسلوفاكيا من الانضمام الى الدول الاوربية للانضمام الى مشروع مارشال .

وبالمقابل تقدم مجلس الشيوخ الامريكى في تموز ١٩٤٩ للمصادقة على معاهدة شمال الاطلسي ،فكان للحلف افق عسكري في سياق الحرب الباردة وبموجبه قدمت الولايات المتحدة معونة عسكرية بقيمة ١،٣ مليار دولار لتعزيز القوات المسلحة لدول حلف الاطلسي ،وقد استكملت الولايات المتحدة الامريكية الترتيب الدفاعية العسكرية والتي اضيفت اليها تركيا واليونان عام ١٩٥١ في مواجهة الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة كما املتتها استراتيجية الاحتواء .

وخلال هذه المرحلة اتخذت القطبية الثنائية شكلها الثنائي ،فاحتكم الطرفان الى ازمة سياسية في برلين تعلمنا من خلالها ان السيطرة على الازمات حاجة ماسة ولكن مهما بلغت درجة ضبط النفس والصبر فقد ينتهي في اوربا ،فالولايات المتحدة الامريكية انشأت ترتيباتها الاقتصادية قبل العسكرية ،فانقذت اوربا من الانهيار الداخلي ولكن احتكارها للقوة النووية لم يؤدي الى الضغط على السوفيت ولكن بمساحات اخرى كانت التطورات تعود الى المنافسة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ،فكسب



الاتحاد السوفيتي تأييد دول جديدة كالصين التي عقد معها اتفاقية نهاية عام ١٩٥٠ تحت اسم اتفاقية الصداقة السوفيتية . الصينية ،للتحالف والمساعدة المتبادلة فقدم الاتحاد السوفيتي مبلغ مقداره ٣٠٠ مليون دولار كقرض للصين كما وافقت السوفيت على مد الصين بالمستشارين .

اما كوريا فانقسمت بعد عام ١٩٤٩ الى قسمين ،القسم الشمالي يدعم من قبل السوفيت والجنوبي فكان يدعم بالمساعدات المالية والعسكرية الامريكية ،كما سعت الولايات المتحدة الامريكية لكسب ود وتأيد اليابان ضد المد الشيوعي ،فالحرب الكورية فربت بين الصين والاتحاد السوفيتي الا انها ابعدت بين الولايات المتحدة الامريكية والصين ،فالقناعة الصينية ترسخت بان الولايات المتحدة هي الخصم الرئيسي للصين ،لكن الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى وقعت اتفاقية سلام مع اليابان في ٨ ايلول ١٩٥١ ،من دون اشراك الاتحاد السوفيتي ،فأعطت اليابان للولايات المتحدة حق وجود قواتها وقواعدها على الاراضي اليابانية ،كما وقعت خلال تلك الحقبة حلفا مع (نيوزيلاند واستراليا ) المسمى بحلف (الانزوس) فقد استحكمت القوة الامنية الامريكية على المحيط الهادي في مواجهة الصين والاتحاد السوفيتي .

اما في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا واجهت الولايات المتحدة الامريكية المد التحرري ،فالسياسة الامريكية كانت تخطط لربط دول الشرق الاوسط بتحالف له صلة بالأطلسي في مواجهة الاتحاد السوفيتي .ولأجل ان تقف الولايات المتحدة بوجه توسع النفوذ السوفيتي سعت لانشاء حلف (السياتو ) في ٨ ايلول ١٩٤٥ وقع في مانبلا على منظمة جنوب شرق اسيا والذي ضم (الولايات المتحدة الامريكية ،فرنسا ،بريطانيا ، استراليا ،نيوزيلاندا ،تايلاند ،الباكستان ،الفلبين ) فتوسعت دائرة الامن الامريكي بعد اتفاقية السياتو جغرافيا فالبعد الجغرافي كان يتقرب من غرب اسيا والشرق الاوسط ليتلاقى مع جناح حلف الاطلسي عند البحر الابيض المتوسط في عقدة تركيا والذي كان يتوقف كذلك على موقف الاقطار العربية وغيرها من دول الشرق الاوسط .

ومن حيث المعنى فان الالتزام الامريكي اصبح يتعدى الدفاع عن الدول الاعضاء في منظمة حلف جنوب شرق اسيا في وجه أي اعتداء خارجي فحسب بل مساعدة الحكومات على مقاومة محاولات





داخلية وخارجية ينظمها الدول الموالية ،فحلف (السياتو) مثل الطوق الحصارى العسكرى والايديولوجى لحلفائهم فى جنوب شرق اسيا .

**المرحلة الثانية (١٩٦٠ . ١٩٧٦ )** ان الوفاق لم يؤدي الى تغيير حال العلاقات الامريكية . السوفيتية خلال هذه المدة ،فالواقع الدولى الذى افرزه الوفاق اقترن بخصائص متناقضة ولنتذكر ازمة الصواريخ فى كوبا عام ١٩٦٢ قد افضت الى تحول فى مدركات كل من الدولتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حيال بعضهما ،فتلك الازمة اكدت لطرفيها ان صراعهما ان لم تتم السيطرة عليه فانه قد يفضي الى اندلاع الحرب العالمية الثالثة ومن هنا جاء الوفاق الدولى فى جانب منه تعبيراً عن هذا الادراك ، وسواء اسهمت الاسلحة النووية فى اشاعة الاستقرار اثناء الحرب الباردة ام لا فطبيعة التنافس النووى بعد العام ١٩٦٥ تغيرت ،فأزمة الصواريخ الكوبية كان لها عموماً اثر يتسم بالتعقل على الطرفين كليهما ،وانفق الاتحاد السوفيتى اموالاً طائلة فى مسعاه لتحقيق التوازن النووى وهو هدف حققه بحلول العام ١٩٧٠ والولايات المتحدة التى التزمت التزاماً شديداً بتوسيع الحرب فى جنوب شرق اسيا رغبت فى تحاشي الصدامات مع موسكو ،وفى اوائل السبعينيات غير تطوراً اخران المنافسة السوفيتية . الامريكية اذ توصلت القوتان العظمتان الى شكل من المياسرة السياسية العامة فى أوروبا من خلال اتفاقيات حول وضع برلين واتفاقيات هليسنكي فقد خفضت الولايات المتحدة فرص الصراع مع الصين بمباشرة الوفاق مع (بيكين) وعلى نحو مترامن مع هذه التطورات ولربما بسببهما فان مدى حدوث التهديدات النووية قد تضاعف ،وانتقل بها المكان من نقاط مرتفعة القيمة كبرلين وكوبا الى مناطق اقل حيوية فى العالم الثالث ،وما زالت القضايا النووية تحظى فى اوربا باهتمام ،مع احتدام النقاش حول نشر اسلحة مسرح الاحداث الجديدة خلال الثمانينات لكن ذلك كان من حيث الاساس تنافساً سياسياً لم يكن أى مسؤول يعتقد انه سيقود الى تهديد بالحرب النووية .(٢٠)

ولقد قادت حركة التنافسية فى الحرب الباردة الى اعتقاد الطرفين بان مصالحهما متشابكة فى كل مكان تقريباً ،فكانت سياسة الاحتواء الغربية تركز على ان أى مكسب تحققه الشيوعية سيقود الى مزيد من الخسائر الغربية فى اماكن اخرى فى حين كان السوفييت يرون بان عليهم مد يد العون الى القوى المضادة للغرب فى ارجاء الكون .(٢١)



كما أختزل ستراتيجيو جيل الحرب الباردة بل الغوا تقريبا ولفترة وجيزة التوتر التاريخي في التفكير الامريكى بين المثالية والقوة ففي عالم تسيطر عليه قوتان عظيمتان تميل متطلبات الایدولوجية والتوازن الى الاندماج وتصبح السياسة الخارجية لعبة ذات مجموع صفري تترجم فيها المكاسب في جانب الى خسائر في الجانب الاخر. (٢٢)

### المرحلة الثالثة (١٩٧٩ . ١٩٨٩)

على الرغم من ان الديمقراطية كانت دوما جزءا من تنافس القوى العظمى واضحت حقوق الانسان عنصرا هاما في البرنامج الغربي بعد اوائل السبعينات فان الخصومة السوفيتية . الامريكية تمحورت جوهريا حول سباق التسلح النووي وكان ذلك يعود الى حد بعيد الى القدرة التدميرية الهائلة للأسلحة النووية والى الاسلوب المبالغت الذي بموجبه وضعت القنبلتان الذريتان اللتان القيتا على هيروشيما وناكازاكي نهاية سرية ومظفرة للحرب العالمية الثانية الا انه يعود الى حد ما الى حالة تضارب المنافسة على الأسلحة ،حيث حافظت الولايات المتحدة الامريكية لعدد من السنوات على احتكار للأسلحة النووية لتفاجأ في نهاية الامر ،عندما فجر السوفييت المتخلفون تقنيا اول سلاح ذري لهم عام ١٩٤٩. (٢٣)

وقد ادت هذه الاسس التقليدية للعلاقة بين القوتين العظميين أنذاك مع وصول ادارة جمهورية الى البيت الابيض عام ١٩٨٠ الى دخول الرئيس الامريكى انذاك (رونالد ريجان) في مواجهة سياسية وعسكرية وایدولوجية مع قادة الاتحاد السوفيتي بشكل خلق ما اصبح يعرف بالحرب الباردة الجديدة غير ان المفاهيم والسياسات الجديدة التي جاء بها (غورباتشوف ) قد شجعت (ريجان ) على الدخول في مرحلة جديدة من العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وقبل وصول غورباتشوف الى الكرملين لم يعقد ريجان طوال مدة ولايته الرئاسية الاولى أي لقاء قمة مع زعماء الاتحاد السوفيتي الا انه في ظل التوجهات الجديدة عقد خمسة مؤتمرات قمة مع غورباتشوف في واشنطن وجنيف ومالطا وريكيافيك وموسكو ،تناولت اعقد ملفات العلاقات بين القوتين أنذاك وهو ملف التسلح الاستراتيجي وقد مهدت مفاوضات الرئيسين الى توقيع معاهدة ستارت ١ لخفض الاسلحة الاستراتيجية بين غورباتشوف



والرئيس الامريكى اللاحق لريجان جورج بوش في ٣١ يونيو ١٩٩١ قبل خمسة اشهر من تفكك الاتحاد السوفيتي .(٢٤)

وهذا يعني ان مقدمات انتهاء الحرب الباردة بدأت عام ١٩٨٥ ،حين تولى الزعامة في الاتحاد السوفيتي (غورباتشوف)والذي جاء مستهدفا احداث تغيير كبير في سياسة الاتحاد السوفيتي وتوجهاته واعادة النظر في المقومات الرئيسية لسياسته الداخلية والخارجية وذلك من خلال مفهوم (الجلاسنوست والتي تعني الشفافية والبيروستريكا ) وتعني البناء الجديد وادى اعتماد هذه المفاهيم كعناصر موجهة للسياسة السوفيتية الى اعادة تقييم الاسس التقليدية لعلاقة الاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة الامريكية والتي كانت تقوم على التنافس والمواجهة .

في الوقت نفسه كان للأسلحة النووية إبان الحرب الباردة عدد من التأثيرات المهمة منها ، ان التهديدات النووية جرت في عدد من ازمات القوتين العظميين الممتدة من كوريا وبرلين الى مضائق تايوان وكوبا ،وعمد الزعماء الامريكويون مرات اكثر من المسؤولين السوفيت الى الاكراه النووي وجاءت معظم تلك التهديدات في العقد الاولين بعد عام ١٩٤٥ واغلب ما كانت التهديدات توجه عندما تكون المصادقية السياسية المحلية عرضة للتحدي او عندما يكون الخطر يتهدد الحلفاء ويكونون بحاجة لما يكفل الحماية المدعمة وغالبا ما ادعى المحللون الاستراتيجيون بان نمو المخزونات النووية الجبارة والتهديدات من آن لآخر باستخدامها كبحت الطبيعة العسكرية المغامرة وحالت دون وقوع حروب شاملة في اورب الاكثر من خمسة واربعين سنة ،ان لهذه الجدلية بعض الحظ من التصديق الا ان فاعاليتها تضاءلت بفعل التفكير الرسمي المشوش والمتناق ١ حول ما اذا كانت الاسلحة النووية يمكن في أي وقت من الاوقات اللجوء اليها وما هي الظروف المسوغة لها ونوعية النتائج التي تتمخض عنها .(٢٥)

ان نظرية الحرب الباردة على اعتبارها وسيلة مزدوجة يدافع عنها احيانا اعتمادا على ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي كانا برغم كل شيء يسيطر كل منهما على الحلف الخاص به سيطرة تامة ،الا ان القومية وهي حس العصر السياسي الاشد فعالية تحدث سلطة القوتين العظميين منذ البداية تقريبا ،اذ تحدى تيتو وما وآخرون موسكو وتحدى ديغول وايدن وآخرون واشطن ولواضحت



التجربة ايضاها كافيما مدى محدودية القدرة على السيطرة على الحكومات العملية التي تعتمد عليها اعتماد تاما لجهة الدعم الاقتصادي والعسكري ومع استبعاد كون الحكومات العملية اسرى للقوتين العظميين ،فغالبا ما آل الامر بهما لتصبغا اسيرتين لعملائهما .(٢٦)

فماذا حققت الحرب الباردة ؟ ان الحرب الباردة كانت السبب في حصول موجة العنف الكبير والتي اشتملت على كلف هائلة وهددت من آن لأخر بالخروج من السيطرة لم يكن هو الاحتواء في اوربا بل الروابط التي كانت قائمة بين الشيوعية والانقلابات الاجتماعية الجذرية في العالم الثالث ،انها كانت المحاولة للسيطرة على مثل ذلك التغيير الاجتماعي وبخاصة في المناطق المستعمرة سابقا ،وهي التي حولت الحرب الباردة من نزاع حول التوجه السياسي لأوربا الشرقية الى صراع كوني ،لقد كان التبرير الرسمي للولايات المتحدة الامريكية في العالم الثالث هو ان الاتحاد السوفيتي كان الملهم الرئيس لمثل هذا التغيير وانه سوف يكون هو المستفيد الاول منه كانت تلك هي الصيغة المستخدمة لتسويغ التدخلات السرية منها او العلنية ،وكان ضمن مجالات النفوذ المعلنة ذاتيا وبوجه خاص (في كوبا ) وجمهورية الدومنيكان وبنما وغواتيمالا والسلفادور والبرازيل والتشيلي وكذلك في افريقيا واسيا وبخاصة في انغولا والكونغو السابق واندونيسيا وكوريا وفيتنام.(٢٧)

ومع ان الحرب الباردة أديرت على العديد من الجبهات وكلفت أثمانا باهضة في المصادر والارواح البشرية فقد ابقيت مع استثناء واحد اساسي ضمن حدود اعتبارتها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي مقبولة ،ان ذلك الاستثناء كان بالطبع ازمة الصواريخ الكوبية للعام ١٩٦٢ ،فكانت مواجهة اوشكت ان تصبح كارثة نجمت عن سوء تقدير .

اذن فالعرب الباردة كان لها بعدان ،بعد عقيدي واخر جغراسياسي وان النظرية الاعتبارية (الشيوعية الثنوية) أنت بنظرة اعتبارية ثنوية مضادة للشيوعية ،فكل طرف نسب للاخر اهدافا لا محدودة تقول في نهايتها الى السيطرة العالمية اضافة الى ان مجموعة المبادئ العملية لكل طرف ،كانت تستشرف تحقيق طموحاته (او قدره التاريخي على المدى الطويل ،وبذلك يفترض وجود فترة لا محدودة للصراع ،لكن على الرغم من ان الطرفين وضعا تصورا لصراع غير محدود الاجل وان قرارات السياسة كانت ذرائعية تقوم على حساب المخاطر والكلفة والربح ،وكان هنالك دوما سوء التقدير الذي قد يكون



حينها خطيرا اذا ما اخذ في الاعتبار التزام التاريخي للحرب الباردة ونصف القرن الاول من العصر النووي كما اضافت الاسلحة النووية عن طريق تهديدها بقاء الحضارة العالمية توترا كبيرا الى الحقبة ولم تكن للاخطار اية سابقة على الاطلاق وبعيدة عن ادراكها ادراكا تاما.(٢٨) ان التاريخ ومن ضمنه تاريخ العلاقات الدولية تحرك الى الامام حركة لا هودة فيها والحرب الباردة كانت حدثا هاما لكن كانت لها جذورها في التاريخ السابق في الزمن.

### الخاتمة

خلاصة القول ان التسلسل النسبي لعلاقات القوى يحدد نطاق الممكن من غير الممكن في تقرير الاهداف والقوة النسبية للدولة لا تحدد فقط طبيعة اهدافها الخارجية وانما اليها يرجع تقرير ما اذا كانت قوة الدولة في حالة تمدد او تدهور وليس من قبيل المصادفات ان اقوى دول العالم هي التي تحاول مد نفوذها ونقل اسلوبها الى غيرها من الدول وهو ما انطبق على السياسة العالمية للولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي خلال مرحلة الحرب الباردة .

ان الحرب الباردة كمفهوم ومجموعة من الافتراضات اشد ضيقا في مجالها العقيدي بين الشرق والغرب ،فلا صلة لها من الواجهة الاساسية في الحقيقة بالنقاش التقليدي والحرب الباردة بعيدا عن كونها مظهرا واحدا للتصادم بين الشرق والغرب فقد عملت بالواقع على تعمية النقاش التاريخي بين هذين النظامين الاجتماعيين الاقتصاديين وتشويهه وتاخيرته بنفس الطريقة التي اخرت فيها حروب السلالات الحاكمة في القرنين السادس عشر والسابع عشر وشوهت تمخض الرؤسالية الحديثة من نظام العصور الوسطى والاقطاعي .

لقد عمل الامريكيون و السوفييت ضمن اطار الصراع العقيدي على ادارة الحرب الباردة على اعتبارها صراعا جغراسياسيا على نحو اكثر بالنسبة لسياسة توازن القوى التقليدية من كونها صراعا طبقي او نظرية احتواء ردع كوني ،فالمصالح الكونية تعددت مناطقها في العالم وقد تميزت بعض المناطق باهميتها بالنسبة للسياستين الامريكية والسوفيتية ،فكان النصيب الاكبر لمنطقة الشرق الاوسط حيث ارتبطت السياسة الامريكية بالمنطقة برابطة امن الموارد والامن القومي الامريكي نفسه وارتبطت بأوربا



المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر

نيسان / ٢٠١٩

جامعة واسط

مجلة كلية التربية

بالامن الاقتصادي والعلاقات السياسية وهنا تباينت رؤية القوى العالمية والاقليمية لتكوين الشرق الاوسط مع الرؤية العربية وحجم المصالح والتحالفات الامريكية مع دول الشرق الاوسط وهو ما كان يستدعي وقفة للتحليل والتفسير ،فلقد كان اهتمام الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى وحيدة بمنطقة الشرق الاوسط يخضع لنظرية (نيكولاس جون سبيكمان ) والذي قال (بارتباط الارض بالسياسة في عنصرها الحركي وبالتالي تامين الدولة على ضوء العوامل الجغرافية وان دراسة موقع الدولة بالنسبة للعالم هو امر ضروري لوضع السياسة الخارجية لها واقامة علاقاتها الدولية )

### المصادر

١. موقع (موضوع) ) <https://mawoooc.com> في ٣٠ تموز ٢٠١٨.
٢. موسى الزغبي، الجيوسياسية والعلاقات الدولية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٥
٣. مقدمة ابن خلدون، ص ٥٧.
٤. د. محمد نصر مهنا، العلاقات الدولية بين العولمة والامركة، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦، ص ١٩.
٥. فيليب برايار و محمد رضا جليلي، العلاقات الدولية، ترجمة حنان فوزي حمدان، دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٨، ص ١٣.
٦. موسى الزغبي، الجيوسياسية والعلاقات الدولية اباحث في الجيوسياسية وفي شؤون العلاقات الدولية المتنوعة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٤، ص ١٦.
٧. مالك عوني، صناعة المستقبل: نحو اطار لفهم موقع التاريخ من التغيرات العالمية الراهنة، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية، العدد ١٨٩ يوليو ٢٠١٢، ص ٣.
٨. ماجدة ابراهيم، تقاعلات نظرية: التحولات المتتالية لمستويات التحليل في نظرية العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٩ تموز ٢٠١٢، ص ٤٦.
٩. فيليب برايار و محمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.
١٠. صاموئيل هانتغتون، ان لم تكن حضارة، فماذا تكون؟ مجموعة باحثين، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز البحوث الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧٣.
١١. د. ابراهيم ابو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين /دراسة واقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي، الدار الجماهيرية الليبية، ١٩٩٥، ص ١٤٥.
١٢. ولتر لافيير، انها نهاية ولكن لاية حرب باردة مجموعة باحثين في : مايكل جي .هوغان، نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها، ترجمة محمد اسامة القوتلي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨، ص ٥٨.
١٣. هنري كيسنجر، النظام العالمي . تأملات حول طلائع الامم ومسار التاريخ، ترجمة د، فاضل جنكر، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٤.
١٤. روبرت د. كانتور، السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة د. احمد ظاهر، مركز الكتب الاردني، ١٩٨٩، ص ٤١.
١٥. هيدلي بول، المجتمع الفوضوي: دراسة النظام في السياسة العالمية، مركز الخليج للأبحاث، ط٣، ٢٠٠٦، دبي، الامارات العربية المتحدة، ص ٢٩٨.
١٦. شكر محمود عبد الواحد حسين، الوجود الامريكي . السوفيتي في البحر المتوسط (الواقع والمستقبل) رسالة ماجستير غ. م كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٥٩.
١٧. المصدر السابق نفسه، ص ٩٧.



١٨. هنري كيسنجر ،النظام العالمي - مصدر سبق ذكره ،ص ٩٩ .
١٩. مالك عوني :الجدال الغائب :هل الولايات المتحدة قائد عالمي ام قوة امبراطورية مأزومة ؟،ملحق مجلة السياسة الدولية تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ،العدد ٢٠٦ اكتوبر، ٢٠١٦ ،ص٤
- ٢٠ . صموئيل إف .ويلز، الابن ،الاسلحة النووية والامن الاوربي إ بان الحرب الباردة ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ،ص١٤٠ .
٢١. جون مويلر ،الجائحة الهادئة :بعض الافكار المستدركة حول الحرب العالمية الثالثة ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ،ص ١٠٠ .
٢٢. هنري كيسنجر . هل تحتاج اميركا الى سياسة خارجية ،ترجمة عمر الايوبي ،دار الكتاب العربي بيروت ٢٠٠٢ ص١٩ .
٢٣. صموئيل إف .ويلز، الابن ،الاسلحة النووية والامن الاوربي إ بان الحرب الباردة ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ،ص١٣١ .
٢٤. د. السيد امين شلبي ،الدرس السوفيتي :احتمالات الانهيار الامبراطوري للولايات المتحدة ؟، ملحق تحولات استراتيجية ،السياسة الدولية ،العدد ١٨٩ عدد يوليو ٢٠١٢،ص ١٥ .
٢٥. صموئيل إف .ويلز، الابن ،الاسلحة النووية والامن الاوربي إ بان الحرب الباردة ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره .،ص١٣٨ . ١٣٩ .
٢٦. آرثر شليسنجر . الابن ،بعض العبر المستخلصة من الحرب الباردة ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ،ص١٢٢ .
٢٧. بروس كامينغز، قضى عراف الغرب الشرير . يحيا عراف الشرق الشرير ، مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ،ص١٩٧ .١٩٨
٢٨. ريموند ل . غارتوف ، ما السبب في نشوء الحرب الباردة وانتهائها ،مجموعة باحثين نهاية الحرب الباردة مدلولها وملابساتها ،مصدر سبق ذكره ، ص٢٢٥ .٢٢٦ .